العدد الخامس والعشرون
2008

مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1376 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2008 مسيحي

- دقة التعبير في نهايات الآيات القرآنية
- الإيقاع النثري (صوره وخصائصه)
- صورة بلنسية في الموروث الأندلسي
- دور الإسلام في التواصل بين مناطق الساحل والصحراء الإفريقية

ظاهرة القلب المكانيّ في اللّغة العربيّة

د. عبد الله محمّد الأسطى
عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة الإسلامية - طرابلس

إنه من الأشياء اللغوية التي تناولها علماء اللغة، واهتموا بها عبر رحلة تطور علوم اللغة العربية ولا سيما علماء النحو والصرف، ظاهرة «القلب المكاني» وذلك في المادة الصرفية خاصة، وهي ظاهرة أفرد لها هؤلاء العلماء أبواباً كثيرة في مصنفاتهم، سواء أكانوا من القدامي أم من المحدثين، وإن تباينت آراؤهم، من حيث إفراد الظاهرة وعدمها؟ ظهر ذلك من خلال الأمثلة الكثيرة التي دُوّنت.

وقد شاع القلب المكاني، لأنه من سنن العرب، وذلك في أحرف العلة

وغيرها، جاء في كتاب سيبويه تحت عنوان: «تحقير ما فيه قلب» اعلم أنّ كلّ ما فيه قلب لا يرد إلى الأصل وذلك لأنه اسم بُني على ذلك، كما ذكرت عن التاء، وكما يُبنى قائل على أن يُبدل من الواو الهمزة، وليس شيئاً تَبعَ ما قبله كواو «موقن» وياء «قيل»، ولكن الاسم يثبتُ على القلب في التحقير، كما ثبتت الهمزة في «أدؤر» إذا حصّرت، وفي قائل، وإنما قلبوا كراهية الواو والياء[1] فقد حدث في بعض ألفاظ اللغة العربية تغير في ترتيب حروفها الأصيلة، وذلك بأن تقدم حرف منها على حرف آخر، وهو ما يعرف عند علماء النحو والصرف بالقلب المكاني، بحيث تُصبح عين الكلمة أو وسطها لاماً أي آخر والعكس[2].

معنى القلب المكاني في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: إنَّ كلمة «قلب» ترد كثيراً في كتب اللغة العربية في الجانب اللغوي الصرفي، وعلى الرغم من ورود تعددها فإنها تكاد تتفق على أن تكون في إطار واحد من حيث المعنى؛ لأن كلمة قلب تعني لغوياً: تحويل الكلمة الواحدة عن موضوعها، أو تحويل الشيء عن وجهه، فقد أوردتها معاجم اللغة بصور عديدة، ولكنها تدور فيما يلي: «قلب الشيء قلباً، وعن وجهه، وحَجر مقلوب، وكلام مقلوب، وقلب رداءه، وقلبه لوجهه. كبَّه ظهراً لبطن... ومن المجاز: قلب المعلم الصبيان، صرفهم إلى بيوتهم، وقلب التاجر السلعة، وقلَّبها: تبصَّرها، وفتش أحوالها. والأرض حولها للزراعة بالقلب، يقال: قلب الأمر ظهراً على عقب» أو لبطن. أي اختبره...[3].

---

(1) الكتاب 3 ـ 5، 46 ـ 4 378، 379، القاهرة، مكتبة الخانجي.

(2) فن التصريف محمد الكتاني ص42 ـ ط2 1973 دار الثقافة وينظر مادة (قلب) في لسان العرب لابن منظور، بيروت، وتاج العروس للزبيدي ـ الكويت، وتهذيب اللغة للأزهري، دار القومية العربية للطباعة.

(3) ينظر مادة «قلب» في لسان العرب لابن منظور ـ بيروت، تاج العروس للزبيدي/ الكويت، وتهذيب اللغة للأزهري/ القاهرة ـ دار القومية العربية للطباعة، والمنجد في اللغة والأعلام، أساس البلاغة للزمخشري، القاموس المحيط للفيروز آبادي/ بيروت دار إحياء التراث ط1.

وقد وردت كلمة «قلب» في القرآن الكريم: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[4]. الخطاب في هذه الآية الكريمة موجَّه للرسول الكريم ﷺ والمعنى لا تغتر بما عليه الكفرة من التبسُّط في المكاسب، والمزارع، ووفور الحظ. والمقصود بالتقلُّب: التَّصرُّف[5].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[6]. والمعنى: ما قاموا به ليس جديداً، أو غريباً... أي دبروا المكائد والحيل، وتأملوا باطن الأمر، وظاهره؛ لأجل الإضرار بالرسول ﷺ[7] وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[8] ومعنى «تقلب» تحول وتغير فالتقلب: تحويل الشيء، وتغييره من موضع إلى موضع[9] أي أن يحل حرف من الكلمة محل حرف آخر منها.

الصرف في الاصطلاح: أما معنى القلب في الاصطلاح فهو: التقديم والتأخير. مثل القلب في الموزون يجعل القلب في الزنة[10] أو تغيير الحكم من خلال الصيغ المعروفة.

ولعلماء البلاغة تعريف للقلب، وهو تحسين الكلام، أو من البديع اللفظي، فالكلام عندهم نوعان: الأول معنوي، الثاني لفظي. فمن اللفظي القلب. وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته، وبدأت بحرفه الأخير إلى

(4) سورة آل عمران، الآية: 196.

(5) معاني القرآن الكريم/ تفسير لغوي موجز، د. إبراهيم رفيدة وآخرون. الربع الأول ص255، طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 1986.

(6) سورة التوبة، الآية: 48.

(7) السابق 1 ـ 137.

(8) سورة الأنعام، الآية: 110.

(9) السابق 1 ـ 431.

(10) شرح الشافية للرضي 1 ـ 24 دار الكتب العلمية، بيروت، الكتب العلمية بيروت 1982، وينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص121 د. خديجة الحديثي، مكتبة النهضة بغداد 1964.

الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام، ويجري في النثر والنظم. .[11] وقد وردت لفظة القلب في «باب القصر» وهو أحد أنواع القصر الثلاثة: قصر القلب، وقصر التعيين، وقصر الإفراد. فالأول هو الذي يخاطب به من يعتقد العكس. ففيه تبديل حكم المخاطب كله بغيره، وقيل: إن شرط قصر الموصوف قلباً تحقق تنافيهما. فقولنا: ما محمد إلا قائم، يخاطب به من يعتقد عكس هذا الحكم الذي أثبته المتكلم، فالمخاطب يعتقد اتصاف محمد بالقعود دون القيام[12] وقد ورد ذكر ذلك في باب التشبيه حيث إنه من أنواع التشبيه، التشبيه «المقلوب» وهو جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أوجه الشبه فيه أقوى وأظهر، ويسمي بعض العلماء هذا النوع من التشبيه «غلبة الفروع على الأصول «فيقول»: هذا فصل من الفصول العربية طريف تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة[13].

وما جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة:

ورمل كأوراك العذارى قطعته إذا ألبسته المظلمات الحنادس[14]

جاء ذلك أيضاً في قول البحتري يصف بركة المتوكل:

كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديها[15]

فذو الرمة جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً، وذلك أن العادة والعرف في النحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء أي الرمل.

---

(11) ظاهرة القلب المكاني في في العربية ص12.

(12) ظاهرة القلب المكاني في العربية لحموز نقلاً عن «ظاهرة القلب المكاني في العربيةد. محمد بدوي المختون ـ مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الحادي عشر ص284.

(13) الخصائص لابن جني 1 ـ 300 مطبعة دار الكتب المصرية.

(14) ألبسته+ غطته. والحنادس جمع حندس، والحندس هو: اشتداد الظلمة. وقد ذهب بها فذهب الوصفُ ينظر علم البيان عبد العزيز عتيق من 94 عتيق دار النهضة العربية 1985.

(15) ديوانه 1 ـ 420 دار المعارف القاهرة، الخصائص 1 ـ 300.

أما القلب في علمي النحو والصرف فتأتي كلمة «القلب في مواضيع كثيرة. ففي علم النحو يراد بها التقديم والتأخير، والحكم الإعرابي، وقلب المعنى. أما في علم الصرف فقد جاءت لفظة القلب في «باب القلب، والإبدال، والإعلال» ويتركز القلب في تقديم حرف وتأخير آخر في الكلمة العربية وذلك من الأهمية بمكان في علوم اللغة العربية، وعلماء النحو والصرف قد ذكروه «بالقلب المكاني» وهو موضوع هذا البحث، ونظراً لاتساع موضوع القلب عموماً فسوف تكون الدراسة مقتصرة على «القلب المكاني» وباختصار أيضاً، لأن المقام لا يسمح بالإسهاب، أو الإطالة، حيث إن هناك أنواعاً عديدة من القلب منها: القلب النحوي الذي يدور في فلك التقديم والتأخير[16] والقلب الذي يدور في فلك المعنى، والقلب الذي يدور في فلك الحكم النحوي، والقلب الذي يدور في فلك البديع اللفظي وقصر القلب. والقلب الذي يدور في فلك الجملة[17].

ظاهرة القلب المكاني عند قدامى علماء النحو والصرف

إن المتتبع لرحلة تطور علم العربية يتراءى له أن النحويين والصرفيين يكادون يجمعون على أنه يجوز الأخذ بكثير من أنواع القلب في العربية، حيث تناول سيبويه لفظة «القلب» قائلاً: «كذلك مررت برجل معه الفرس راكباً برذوناً، إن لم ترد الصفة نصبت، كأنك قلت: معه الفرس راكباً برذوناً، فهذا لا يكون فيه وصف، ولا يكون إلا خبراً، ولو كان هذا على القلب، كما يقول النحويون لفسد كلام كثير، ولكان الوجه: مررت برجل حسن الوجه جميله.. لأنك لا تقول: مررت برجل جميله حسن الوجه. فأما القلب فباطل لو كان ذلك لكان الحد والوجه في قوله: مررتَ بامرأة آخذةٍ عبدَها فضاربته النصبَ؛

(16) النكت في تفسير كتاب سيبويه لأعلم الشنتمري ط 1 ـ 1987 1 ـ 165 الكويت شرح كتاب سيبويه للسيرافي 1 ـ 212 الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990.

(17) ظاهرة القلب المكاني، د. عبد العزيز الحموز، ص14.

لأن القلب لا يصلح ولقلت: مررتُ برجلٍ عاقلةٍ أمُّه لبيبةً؛ لأنه لا يصلح أن تقدم لبيبةً فتضمر فيها الأم، ثم تقول عاقلة أمه. . .[18].

وفي التقديم والتأخير قال سيبويه «وسألت الخليل، فقلت: ما منعهم أن يقولوا: أحقاً إنك ذاهب، على القلب كأنك قلت: إنك ذاهب حقاً، وإنك ذاهبٌ الحقَّ، وإنك منطلقٌ حقاً؟ فقال: ليس هذا من مواضع (إن)؛ لأن (إن) لا يبتدأ بها في كل موضع، ولو جاز هذا لجاز: يوم الجمعة إنك ذاهب، تريد إنك ذاهب يوم الجمعة، ولقلت أيضاً: لا محالة إنك ذاهب، تريد: إنك لا محالة ذاهب، فلما لم يجز ذلك حملوه على: أفي الحق إنك ذاهب[19].

أما ظاهرة القلب في أحرف العلة فقد جاء في «باب تحقير مافيه قلب» في كتاب سبيويه قوله: «اعلم أن كل ما فيه قلب لا يرد إلى الأصل؛ وذلك لأنه اسم بني على ذلك كما بني قائل على أن يبدل من الواو الهمزة، وليس شيئاً تبع ما قبله كواو «موقن» وياء «قيل» ولكن الاسم يثبت على القلب في التحقير كما ثبتت الهمزة في أدؤر إذا حقرت، وفي قائل، وإنما قلبوا كراهية الواو والياء[20]. ومن ذلك أيضاً قلب الهمزة ياء في مثل: «قضايا، وسجايا، وهدايا، (وسوايا) و(جيايا) «وأما فعائل من (جئت) و(سؤت) فتقول فيه: سوايا وجيايا؛ لأن فعائل من (بعت) و(قلت) مهموزان، فلما وافقت اللام مهموزة لم يكن من قلب اللام ياءً بدٌّ كما قلبتها في: جاء وخطايا، فلما كانت تقلب ياء وكانت الهمزة إنما تكون في حال الجمع أجريت مجرى فواعل من: شويت وحويت حين قلت: شوايا؛ لأنها همزة عرضت في الجمع وبعدها ياء فأجريت مجرى مطايا. . .[21] ومما عده سبيويه في باب القلب المكاني الذي يكون بتقديم

(18) الكتاب 2 ـ 50 ـ 51.

(19) السابق 3 ـ 135، 136.

(20) السابق 3 ـ 465، 4 ـ 378، 379.

(21) الكتاب 3 ـ 378، 379، الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ص2 ـ 805 1982.

حرف في الكلمة، وتأخير آخر «لاثٍ» في لائث من قول العجاج[22]: «لاث به الأشاء والعبري» إنما أراد «لائث»[23] فقدمت الثاء وأخرت الواو. أما أبو علي الفارسي، فيظهر أنه يكاد يذهب مذهب الخليل بن أحمد: « قال الفتح: رأيت أبا علي يذهب إلى قوة قول الخليل[24].

في هذا الباب: قال: لأنه لا يجمع على الكلمة إعلالين، إنما هو إعلال واحد، وهو وتقديم اللام وتأخير العين. . .[25] ومثل هذا (شاء، جاء، راء، ناء. . .[26] وسيأتي شرح هذا أكثر ـ إن شاء الله.

أما ابن جني فقد تناول القلب المكاني حيث جعل له باباً، «باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير. . .»[27].

ويرى أن ما كان من المقلوب لا يخضع للصنعة والتلطف، محمول على الاتساع في اللغة، ولذلك أفراد باباً. . .[28] وذكر في هذا الباب أن القلب كثير في العربية وأنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يجز العدول عن ذلك: «والقلب في كلامهم كثير»[29]. وقد تحدث عن ظاهرة القلب المكاني أبو عثمان المازني، ولكنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه الخليل بن أحمد في كلمة «جاء وشاء» مقلوبين، بل تبع سيبويه فيهما. .[30]، لأن سيبويه عنده ليستا

(22) السابق 3 ـ 466، ظاهرة القلب المكاني في العربية ص16 ـ 17، والمبدع لأبي حيان الأندلسي ص239.

(23) تيسير الإعلال والإبدال، عبد المنعم إبراهيم ص14/ القاهرة 1969 ـ شرح المفصل لابن يعيش 8 ـ 116 ـ بيروت.

(24) الكويت ط «1» علم 1982، دار العروبة للنشر والتوزيع.

(25) المنصف لابن جني 2 ـ 53، والمبدع لأبي حيان ص239.

(26) الخصائص 2 ـ 129 477ن 493 دار الهدي للطباعة والنشر بيروت.

(27) الخصائص 2 ـ 69 ـ 82.

(28) السابق 2 ـ 88.

(29) السابق 2 ـ 69، 82 ـ 88.

(30) الكتاب 4 ـ 477 جاء في الكتاب المازني «التصريف» الذي شرحه ابن جني في كتابه (المنصف) ينظر النصف 2 ـ 52 ـ 53.

مقلوبين؛ لأن الهمزة لام الكلمة (جيائيء) و(شائيء) فقلبت ياء في كل ما عينه همزة «فهذه الحروف تجري مجرى: قال يقول، باع يبيع، خاف يخاف، وهاب يهاب، إلا أنك تحول اللام ياء إذا همزت العين وذلك قولك: جاء كما ترى فهمزت العين التي همزت في قائل وبائع، واللام مهموزة، فالتقت همزتان ولم تكن لتجعل اللام بينَ من قبل أنهما في كلمة واحدة، وأنهما لا يفترقان، فصارا بمنزلة مايلزمه الإدغام لأنه في كلمة واحدة... فلما لزمت الهمزتان ازدادتا ثقلاً، فحولوا اللام وأخرجوها من شبه الهمزة»[31].

أما في كلمتي (جبذ، جذب) فيذهب المازني مذهب الخليل، وسيبويه، وغيرهما في أنه لا قلب فيما كان من باب «جبذ وجذب» لأن كلا منهما أصل...[32] وهذا مذهب البصريين وقد تبعه الرضي، والسيوطي، وابن النحاس في أن ما كان من باب «جبذ وجذب» لا يعد قلباً...[33] وذكر أبو حيان أن ما يعد قلباً عند البصريين لضرورة وغيرها توسعاً لا يمكن استيعابه وأنه مع كثرته لا يطَّرد شيء، ولا يصلح أن يقاس عليه؛ ولذلك فهو يحفظ حفظاً، وعلى الرغم من ذلك فهو عنده أكثر من الشذوذ[34]. أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى أن ما كان من باب (جبذ وجذب) يعد قلباً وقال النحاس في شرح المعلقات: القلب الصحيح عند البصريين مثل: شاكي السلاح. وشائك، وجرف هار، وهائر.

أما ما يسميه الكوفيون القلب نحو (جبذ وجذب) فليس هذا بقلب عند البصريين وإنما هما لغتان وليس بمنزلة: شاك، وشائك...[35].

---

(31) الكتاب 4 ـ 67، 4 ـ 477، وظاهرة القلب المكاني في العربية ص19.

(32) المنصف 2 ـ 107.

(33) شرح الشافية 1 ـ 21 دار الكتب العلمية بيروت.

(34) ظاهرة القلب المكاني في العربية ص29، المبدع في التصريف تحقيق عبد الحميد السيد دارالعروبة للنشر والتوزيع ص249، والبحر المحيط لأبي حيان 6 ـ 36 مكتبة مطابع النصر الحديثة الرياض.

(35) المزهر في علوم اللغة للسيوطي 1 ـ 481 دار إحياء الكتاب العربية، القاهرة ظاهرة القلب المكاني في العربية ص29.

وهناك عدد كبير من علماء اللغة قد تناولوا ظاهرة القلب المكاني من القدامى بالإضافة إلى ما ذكر إلاأن محدودية هذا البحث لا يتسع فضاؤها لأكثر من هذا، والذي يمكن الوصول إليه هو أنه لم ينكر ظاهرة القلب المكاني لغوي أو نحوي إلا ابن درسويه فقد أفرد لهذه المسألة مصنفاً باسم (إبطال القلب)؛ لأن ما عدَّ منها قلباً محمول عنده على اللغات[36] (وهو ما أخذه القرآن الكريم من ألفاظ كل قبيلة من قبائل العرب[37].

أما ابن قتيبة وابن دريد فقد خصص كل منهما باباً أيضاً «للقلب» فالأول قال «ومن القلب: جذب، وجبذ واضمحلَّ الشيء، وامضحلَّ، أحجمت عن الأمر وأجحمت. . .[38].

أما الثاني فقد أفرد للقلب باباً سماه «باب الحروف التي قلبت، وزعم قوم من النحويين أنها لغات» جاء فيه: «قال أبو بكر: وهذا القول خلاف على أهل اللغة والمعرفة، ويقال: جبذ وجذب ما أطيبه وأيطبه. . .[39] والقول نفسه قاله ابن سيده في المخصص. . .[40] كذلك قول ابن جني: وفي قول الخليل «وقسبي» وقوله: «أخو اليوم اليمى» فهذا ونحوه طريق الاتساع في اللغة عن غير تأت ولا صنعة ومثله موقوف على السماع، وليس لنا الإقدام عليه من طريق القياس. . .[41].

ظاهرة القلب المكاني عند اللغويين المحدثين:

مما لا شك فيه أن جهود علماء اللغة العربية هي امتداد لجهود علماء هذه اللغة من القدامى.

---

(36) السابق 31.

(37) كتاب اللغات في القرآن ص6 لابن عباس تحقيق صلاح الدين المنجد ط2 دار الكتاب الجديد بيروت.

(38) أدب الكاتب ص492 مؤسسة الرسالة بيروت، الخصائص 2 ـ 69.

(39) جمهرة اللغة 3 ـ 431 مكتبة المثنى بغداد.

(40) ابن منظور 14 ـ 27، 28 الخصائص 2 ـ 88.

(41) السابق، الصاحبي لابن فارس بن زكريا ص339 القاهرة.

فقد تناول هؤلاء المحدثون ظاهرة «القلب المكاني» ولكنهم يتفاوتون في طريقة تناولها وأما من حيث اختلافهم في آرائهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن الدكتور عبده الراجحي في كتابه «التطبيق الصرفي» و«النحو العربي في الدرس الحديث»[42] تجد في الأول الالتجاء إلى التخلص من صعوبة نطق الأصوات بتقديمها أو تأخيرها من أسبابه: «والواقع أنه ظاهرة لغوية واضحة في اللغة العربية ولا يصلح إنكارها ونحن نلحظها كل يوم في لغة الأطفال الذين لا يستطعون نطق الألفاظ الكثيرة التي يسمعونها كل يوم، عند تبادل الحديث بينهم فيقلبون بعض حروفها مكان بعضها الآخر، ونلحظها أيضاً في لغة العامة، وأوضح مثال عليها كلمة «مَسْرَح» التي تنطلق كثيراً مرسح.

فلو أننا وزناها بعد القلب لكان الوزن: مَعْفَل[43].

إلا أن الدكتور عبد الفتاح الحموز ليس مع الراجحي في حصر القلب عند الأطفال والعامة بعدم استطاعتهم نطق بعض الأصوات، لأن للوهم أو الخطأ دوراً في هذه الظاهرة. كما لغيره من العوامل الأخرى[44]. ويبدو لي أن الراجحي لم يرد حصر القلب في لغة الأطفال والعامة، وإنما أعطى مثالاً لظاهرة القلب ولم يذكر ما يوحي بالحصر في هذين المثالين.

وقد دوّنت ألفاظ فيها قلب في كتب بعض المحدثين منها: الوكع والكوع، والحفيف، والفحيح، وأضرابها من الألفاظ التي تكاد تتفق في المعنى الخاص، فحفيف الحية صوت جلدها عند المشي أما الفحيح فصوت الحية من فمها، والوكع في الرّجل أن يميل إبهامها على الأصابع، أما الكوع في الكف فتعُوج من قبل الكوع.

والكوع طرف الزند الذي يلي الإبهام[45].

---

(42) ص 109 ـ 153 دار النهضة العربية للنشر، بيروت.

(43) التطبيق الصرفي ص14 دار النهضة العربية للطباعة والنشر/ بيروت.

(44) ظاهرة القلب المكاني في العربية ص33، 34.

(45) ينظر الاقتضاب في شرح أدب الكاتب ص30 مؤسسة الرسالة/ بيروت.

وقد جاء في كتاب «التطور اللغوي، مظاهره، وعلله وقوانينه» للدكتور رمضان عبد التواب، ذكر فيه إنما ظاهرة القلب المكاني يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير: «والقلب المكاني ـ وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي ـ وهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك»[46].

وتحدّث الدكتور أمين السيد عن ظاهرة القلب. فدعا إلى اعتبار نوعي القلب المكاني على مذهب البصريين والكوفيين من «باب اللغات»، وقد قال الكوفيون: إنَّ كل ما شابه ذلك من قبيل القلب، وعلى هذا فأيُّ اللفظين يُعَدُّ أصلاً عندهم؟ أمّا البصريون فقد قالوا: إنّ هذه لغات سمعت من العرب، ولست أدري ما الذي منع من أن يقولوا: إنَّ كل الألفاظ التي وقع فيها القلب تُعَدُّ لغات أخرى.

وبخاصة في مثل: «جاه» الذي تغيّر معناها بعد القلب...[47]

وتحدث الدكتور صبحي الصالح ـ رحمه الله ـ عن التقديم والتأخير في كتابه «دراسات في فقه اللغة» على أن التقديم والتأخير في لهجة تميم نتيجة لنطق قبيلة بدوية لم يتم صقل لغَتِها؛ ولذلك يُعدُّ ما كان من باب «جذب، وجبذ» من باب اللغات حملاً على ما ذكره سيبويه.

ويرى أن القلب المكاني في الفعل الخماسي لم تعرفه العربية إلا على ندرة[48].

ومن المستشرقين من أدلى بدلوه في هذا الموضوع، فقال: «إنّ من أسباب القلب المكاني الرئيسة تجنب صعوبة النطق الناشئة من تجاوز بعض

(46) ص57. مكتبة الخانجي، القاهرة، ينظر ص59 و60.

(47) في علم الصرف، أمين علي السيد ص68 ط3 عام 1985، دار المعارف بمصر، الوافي الحديث في فن التصريف/ محمد محمود هلال جامعة بنغازي.

(48) ص104 «دراسات في فقه اللغة» مطبعة جامعة دمشق.

الأصوات؛ ولذلك حدث التقديم والتأخير. . . ومما حمله من الكلمات المقلوبة على هذه المسألة بناء «الافتعال»؛ مقلوب من «الانفعال» عنده[49].

أمَّا إبراهيم أنيس فقد حاول تفسير هذه الظاهرة معتمداً في ذلك على اختلاف الرواية والشهرة، وكون إحدى اللفظتين متصرفة واعتمد في ذلك أيضاً على مرتبة الأصوات في الكلمة العربية من حيث ترتيبها ونسبة شيوع هذا الترتيب.

وانتهى من ذلك إلى أن ظاهرة القلب المكاني في الكلمة العربية تعود إلى نسبة شيوع السلاسل الصوتية في العربية. . .[50].

وبعد تناول ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية عند القدامى اللغويين، وبعض اللغويين المحدثين نجد المحدثين لم يستقلوا تمام الاستقلال عن ما تناوله علماء اللغة العربية القدامى إلا في بعض الجوانب، ويكادون يجمعون على أن ظاهرة القلب المكاني تهدف إلى اليسر والسهولة[51].

ظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية بين السماع والقياس

إن ظاهرة القلب المكاني ظاهرة سماعية، وليست قياسية[52].

إذ لا يجوز أن تحدث قلباً مكانياً في كلمة لم يسمع فيها القلب. بل يقتصر على السماع، غير أن الخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ جعل القلب المكاني قياساً مطرداً في اسم الفاعل من الأجوف المهموز اللام مثل: جاءٍ وساءٍ من الفعل (جاء وساء). فوزنهما عنده: فالٍ.

والذي دفع الخليل إلى هذا القول هو أن عدم القول بالقلب في: جاء،

(49) التطور النحوي للغة العربية ـ برجستراسر ص92 مكتبة الخانجي القاهرة. وص212.
(50) مجلة مجمع اللغة العربية ص7/ 13 الجزء الحادي والثلاثون 1972.
(51) ظاهرة القلب المكاني في العربية ص43، 49.
(52) المبدع في التصريف لأبي حيان النحوي ص239/ الكويت ط1 ـ 1982.

يؤدي إلى اجتماع همزتين في الطرف، إذ يصير اسم الفاعل (جايِيء) ثم (جائيء). وهذا يؤدي إلى إعلالين في الأجوف المهموز إذا لم يتم نقل الهمزة إلى موضع الياء، غير أن الخليل رجع عن ذلك بما ذهب إليه من جواز تخفيف الهمزة الثانية بقلبها ياء، وهو الأمر نفسه ذهب إليه سيبويه. . .[53].

إذ أنّ (جاءٍ) عنده وزنها (فاع). وأصلها (جايِيء) ثم (جائيء) بقلب الياء والهمزة الثانية ياء، ثم (جاءٍ) بحذف الياء بإعلالها إعلال «قاض».

الغرض من القلب المكاني

أمَّا الغرض من القلب المكاني فهو التوسيع، في مجال اللغة العربية التي تتطور كغيرها من العلوم: لكثرة مفرداتها، حيث يكون للمعنى الواحد كلمتان، أو أكثر من مادة واحدة مثل: نأى بمعنى بَعُدَ على وزن (فعل).

تقول فيها نَاءَ بتقديم الياء على الهمزة، فوزنها (فلع) بعد القلب، ومعناها بَعُدَ كذلك، ومثل هذا ما سماه علماء اللغة العربية الاشتقاق الكبير، وهو ضرب من ضروب التوسع في اللغة[54].

فالقلب المكاني نوع من أنواع الاشتقاق[55].

صور القلب المكاني وكيفية التعرف عليه

إنَّ للقلب المكاني صوراً يُعرف بها من خلال الكلمة العربية وذلك بوضع حرف مكان حرف، بالتقديم والتأخير في بعض الألفاظ العربية، مما يُحدِث

---

(53) الكتاب 4 ـ 477، شرح الشافية 1/ 21 الخصائص 2 ـ 62، المنصف 2 ـ 93.

(54) الوافي الحديث في فن التصريف ص41. وينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص121، 122، 123. الإنصاف في مسائل الخلاف 1 ـ 235. والمفصل لابن يعيش 8 ـ 117 بيروت. المبدع في التصريف ص239.

(55) الواضح في علم الصرف ص153. د/ محمد خير الحلواني دار المأمون للتراث دمشق ط/ 4 1987. وينظر كتاب في أصول اللغة. مجمع اللغة العربية القاهرة ص62. عام 1969 القاهرة.

تغييراً في الكلمة وذلك في ترتيب أحرفها الأصلية، بأن يتقدم حرف منها على حرف آخر. . .

فتصبح الكلمة، أو وسطها لاماً، أي آخراً، والعكس، ويحدث هذا القلب المكاني لأسباب، أو أدلة، أو أغراض، أو صور[56].

ويتحقق القلب المكاني في صور منها:

1 ـ الرجوع إلى وحدة الأصل بين لفظين

ولمعرفة الأصل هناك خلاف بين النحويين البصريين والنحويين الكوفيين في: المصدر والفعل أيُّهما الأصل، وأيُّهما الفرع[57].

ويرجع ذلك إلى: الاعتماد على بعض الأمور التي يمكن بها معرفة القلب، ولكن المدرستين البصرية والكوفية متفقتان في استخدام مصطلح «المصدر»[58].

والبصريون يرون أن المصدر هو الأصل، لأنه اسم، والاسم لا يحتاج إلى غيره، بينما الفعل يحتاج إلى فاعل في الغالب إلا بعض الأفعال مثل: طالما، وقلما. . وقالوا: «الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، كما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل الفعل[59].

أما الكوفيون فقالوا: «إنما قلنا: إن المصدر مشتق من الفعل؛ لأن المصدر يصح لصحة الفعل، ويعتل لاعتلاله. . .

ولصاحب (الإنصاف في مسائل الخلاف) رد على الكوفيين في ثلاث وجهات نظر يمكن الرجوع إليها في هذه المسألة[60]. التي ليست موضوع هذا

---

(56) فن التصريف ص42 محمد الكتاني ط2 ـ 1973 دار الثقافة، الوافي الحديث في فن التصريف ص42.

(57) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص208/ د. خديجة الحديثي/ بغداد 1964.

(58) أبنية المصادر في الشعر الجاهلي ص37، د/ وسيمة عبد المحسن منصور جامعة الكويت ـ الكويت عام 1984.

(59) الإنصاف في مسائل الخلاف 1 ـ 237.

(60) السابق 1 ـ 239، 240، 241، المبدع في التصريف ص25.

البحث الرئيسة، وإنما كان ذلك بسبب الرجوع إلى الأصل بين لفظين.

ولذلك اختلف النحاة باختلاف المدرستين، بإخضاع ظاهرة القلب المكاني إلى الأصل، ومما أخضع لذلك الأصل قول العرب في الفعلين (رأى، نأى)، ومضارعهما (يرأي، وينأي)، حذفت الهمزة من الفعل المضارع (يرْأي) إمَّا للتخفيف من غير قياس، وإمّا لالتقاء الساكنين بعد نقل الهمزة إلى الراء قبلها، ومصدر كل منهما: الرأي والنأي.

فدل ذلك على أن (رأى، ونأى) هما الأصل وإن (راء، وناء) حصل فيهما قلب مكاني بتقديم اللام على العين بمثابة (فَعَل).

بأن قُدِّمت فيها الياء على الهمزة؛ فصارتا: «رَيَأ، نَيَأ» ثم قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارتا «راء، ناء» على وزن (قلع)، واسم المكان منهما (مرأى، ومنأى).

وجاء في قراءة ابن عامر وحده ﴿وَنَا بِجَانِبِهِۦ﴾[61].

(ناء) ممدودة مثل (باع)، أي من رواية ابن ذكوان[62]. وجاء في كتاب إملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري: وجهان لهذه القراءة، الأول: أن يكون الفعل (ناء) مقلوباً من (نأى). والثاني: أن يكون بمعنى نهض أي: ارتفع عن قبول الطاعة، أو نهض في المعصية والكبر، فلا قلب في الكلام[63]. وذكر ابن منظور: أنه مقلوب، أو لغة في (نأى)[64].

ومن ذلك قولهم: راء في رأى، فقدمت اللام (الياء المهملة) على العين (الهمزة) ثم قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومن ذلك قول كثير عزَّة:

---

(61) سورة الإسراء، الآية: 83.

(62) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص384 دار المعارف بمصر ط2 ـ 1400هـ/ تحقيق د/ شوقي ضيف.

(63) 2 ـ 52 دار العلم للجميع.

(64) لسان العرب مادة (ناء)، المفصل لابن يعيش 8 ـ 116.

وكـل خـلـيـل راءنـي فـهـو قـائـل من أجلِكِ هذا هامة اليوم أو غدا[65]

فراء في البيت على وزن «فلع» وراء في مقلوب رآني. ومن ذلك كلمة (سأى) مقلوب (ساء) قدمت الهمزة على الياء. قال كعب بن مالك[66].

لـقـد لـقـيـتُ قـريْـظـة مـا سـآهـا وحـــلَّ بـــدارهـــا ذلٌّ ذلـــيـــلُ

فالفعل (سآها) في البيت على وزن (فلع) وهذا البيت من شواهد سيبويه[67]. لأن سآه كـ (ساءَه) على أنه مقلوب منه. وجاء في كتاب سيبويه (سآني)، (وساءني)[68].

ومثلها: (رآني) و(راءني)، إنما أبدلت همزتها ألفاً، وأبدلت الياء بعدُ، كما قال بعض العرب: راءة في راية[69].

2 ـ وجود تصحيح حرفة العلة مع وجود ما يوجب الإعلال

«تقديم العين على الفاء» وذلك مثل كلمة «أيس» على وزن عفل وأصلها: «يئس» بزنة «فعل» قدمت الهمزة على الياء فصارت «أيس» ولذلك عد علماء الصرف القلب المكاني وسيلة من الوسائل التصميم للكلمة؛ لأن اللفظة المقلوبة محمولة في مثل هذه المسائل على ما قلبت منه من حيث التصحيح وعدمه، على الرغم من موجب الإعلال في المقلوب، ومما عدوه. هذه الكلمة «أيس» في: «يئس» فلولا القلب لوجب الإعلال، ولقيل: إست آآس، قال ابن جني: «وأما الآخر فعندي أنه لو لم يكن مقلوباً لوجب إعلاله. وأن يقول: آس[70] إستُ. آآس. كهبتُ، أهاب. فظهوره صحيحاً.

---

(65) الكتاب لسيبويه 3 ـ 467 ديوان كثير عزة 1 ـ 111، أمالي الشجري 2 ـ 19، لسان العرب (رأى).

(66) الكتاب 3 ـ 467.

(67) الوافي الحديث في فن التصريف ص42 ـ 43، ظاهرة القلب المكاني في العربية من 54 ـ 55.

(68) الكتاب 3 ـ 467.

(69) المصدر السابق.

(70) التطبيق الصرفي ص15 الخصائص 2 ـ 71، 72.

يدل على أنه إنما صحَّح؛ لأنه مقلوب عما تفتح عينه وهو يئست؛ لتكون الصحة دليلاً على ذلك المعنى، كما صحت عين «عور» دليلاً على أنه في معنى ما لا بد من صحته وهو (أعور)[71]. ومن العلماء من يرى أنه لا ينبغي أن يجعل المقلوب أصلاً، ويجعل تصحيحه شاذاً؛ لأن القلب أوسع من تصحيح المعتل وأكثر[72]. أما حكم الإعلال فواضح هنا، وهو أن الياء تحركت وانفتح ما قبلها ـ حسب القاعدة ـ فوجب قلبها ألفا، ولكن ذلك لم يحصل، لأنها تركت لتشبه أصلها ـ كما تقدم «يئس» لم يحصل منه إعلال ويحمل هذا القلب على أمرين جميعاً؛ لأنه لا مصدر للمقلوب، أمّا المقلوب منه فمصدره اليأس واليآسة[73].

3 ـ ويعرف القلب المكاني بالرجوع إلى ما اشتق منه المقلوب

نحو (جاه) على وزن «عفل» وأصلها «وجه» على وزن. فعل.

قدِّمت الجيم على الواو، أي العين على الفاء؛ فصارت «جَوَه» تحركت الواو وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً، فصارت «جاه» بزنة «عفل»[74].

فالمسموع هو اشتقاق الوجاهة، والتوجه، والاتجاه، من الوجه، ولا أصل للجاه إلاّ هذا الأصل، فعلم أنّ القلب المكاني حدث فيه، يجعل فاء الكلمة عيناً لها بمثابة جعل «الفعل» على صورة «العفل»[75].

قال التصريفيون: إن المقلوب إذا وافق المقلوب منه لفظاً ومعنى يجب أن يكون أقل تصرّفاً مما قلب منه، لأن الأصل أكثر تصرُّفاً[76].

---

(71) الخصائص 2 ـ 72 شرح الشافية 1 ـ 23.

(72) الممتع في التصريف لابن عصفور 2 ـ 618 وشرح الشافية 1 ـ 21، والمبدع في التصريف لأبي حيان ص170.

(73) الخصائص 2 ـ 70 ـ 73 نقلاً عن أبي علي الفارسي شرح شافية ابن الحاجب 1 ـ 23، 24.

(74) الوافي الحديث في فن التصريف ص44.

(75) فن التصريف ص42، وينظر شرح شافية ابن حاجب 1 ـ 23 ـ 24 ـ 25.

(76) الممتع في التصريف 2 ـ 617، والخصائص 2 ـ 67، المنصف 2 ـ 91، شرح الشافية 1 ـ 21، فقه اللغة، مازن مبارك ص106، 107/ دارالفكر.

فقولهم: «جاه» في «وجه»؛ لأنه يقال: قد وَجُهَ الرجل وجاهة، وهو وجيه، ووجوه، وتوّجه، ووجَّه، وواجه. وقيل: إنَّ مما يقوّي هذا الوجه أن العرب لم يقولوا: جَويه»[77].

ومن ذلك صورة أخرى قليلة نحو: «حادي» فيها تأخرت الفاء عن اللام على وزن «عالف» وأصلها واحد على وزن «فاعل»، أخرت الواو إلى ما بعد اللام فصارت «حادو» فوقعت الواو متطرِّفة إثر كسرة، أي انكسار ما قبلها. ومن ذلك كلمة (الطادي) على وزن «عالف» مقلوبة عن الواطد اسم فاعل من وطد.. يطدُ. بمعنى ثبت، ولمّا أخرت الواو عن الدال فصارت «الطادو» قُلبَت الواو ياءً؛ لتطرُّفها، إثر كسرة فصارت (الطادي) على وزن (عالف). وقد استعلمت مقلوبة في بيت القطامي[78]:

ما اعتاد حُبُّ سُليمى حين مُعتاد ولا تَقَضَّى بواقي دينها الطادي

يريد الشاعر هنا «الطائد»، ففي قلب الواو ياء؛ لتطرفها صورة موجودة في باب «الإعلال والإبدال» وذلك مثل كلمة «رضي» أصلها رَضِوَ؛ لأنها من الرضوان، تطرفت الواو بعد كسرة، فقلبت ياء.

وينطبق هذا على:

أ ـ كل فعل ماض مبنيٌّ للمعلوم آخره واو قبلها كسرة.

ب ـ كل فعل ماض مبنيّ للمجهول آخره واو نحو: غزي.

ج ـ كل اسم فاعل من فعل ناقص لامه واو نحو: الداني[79].

ومن الأمثلة المشتقة: الأقواس، وتقوَّس مشتقان من القوس اشتقاق: «القِسي». منه، المفرد «قوْس» على وزن «فَعْل»، والجمع «قووس»،

(77) السابق 1 ـ 23، الخصائص 2 ـ 76، 77، 78.

(78) الوافي الحديث في فن التصريف ص46، 47، الصحاح (وطد).

(79) الإعلال والإبدال ص25، عبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب ـ مصر 1969 ـ القاهرة.

على وزن «فعُول» ثم تقدمت اللام على العين فصار «قسُوو» ثمّ تطرّفت الواو، فقلبت ياء، فصارت: «قسُويٌ» ثم اجتمعت الواو والياء، والسابق منها ساكن فقلبت الواو ياء (قسُيي) فأدغمت الياء في الياء، فصارت «قسُيّ» ثم قلبت الضمة كسرة من أجل مناسبة الياء، فصارت «قِسِيّ»[80] وذلك لعسر الانتقال من ضم إلى كسر.

إذن فإن كلمة «قسي» مقلوبة عن «قووس» أمّا وزنها بعد القلب فهو «فلوع».

4 ـ أن يترتب على عدم القلب وجود همزتين في الطرف

وذلك في كل اسم فاعل من الفعل الأجوف المهموز اللام نحو:

(جاء وشاء) فاسم الفاعل منهما: (جاءٍ وشاءٍ). والأصل (جائيء، وشائيء). وهذا ـ دون شك ـ ثقيل في التطور، فلزم تقديم لام الكلمة على عينها من دون أن تعلّ تلك العين، فتقول: (جائيٌ) و(شائيٌ) بوزن «فالع» ثم يُعلّ اللفظ إعلال: (قاضٍ وصافٍ، وراعٍ...) فيصير «جاءٍ وشاءٍ» بوزن «فالٍ»[81].

وقد أكد عالم العربية الخليل بن أحمد أن القلب في كلّ ما اجتمع فيه همزتان في الطرف يكون قياسياً....[82]، وتجمع الكلمتان «جاءٍ، شاءٍ» مثل «ساءٍ» جمع تكسير وهو «جواءٍ، شواءٍ، وسواءٍ...» وذلك تكسير: جائية، وشائية، وسائية.

والقول نفسه في تكسير ما كان في مفرده همزة قبلها حرف مدّ.

---

(80) شرح الشافية 1/ 23، المبدع في التصريف ص239، والمنصف 2/ 109، والتطبيق الصرفي للراجحي ص14، 15، والمنصف 2 ـ 22، والممتع لابن عصفور 2 ـ 616، والكتاب 4 ـ 380.

(81) فن التصريف ص43، شرح شافية ابن الحاجب 1/ 25.

(82) الكتاب لسيبويه 4/ 481، 4/ 477، والمبدع ص239. (هامش 1، 2)، والمبدع في التصريف لأبي حيّان ص192.

نحو: خطايا، ودنايا... وغيرهما، خطيئة، ودنيئة. وأضرابهما، فلو جاءت هذه الألفاظ على الأصل لالتقي فيها همزتان متطرفتان نحو: (جائي، وشائي، وسائي... وسوائي) بقلب العين همزة حملاً على الأصل الصرفي. وكذلك، خطائي، بقلب ياء فعلية همزة حملاً على الأصل (الصرفي). ولذلك جعل الخليل بن أحمد فيما مَرَّ قياسياً؛ لاجتماع همزتين في الطرف مستثقل...[83].

وإن كان سيبويه قد خالف شيخه في هذه المسألة؛ لأن الهمزة (لام الكلمة تقلب عنده ـ أي سيبويه ـ ياء في كل ما كانت عينه همزة نحو: (جاء، شاء)؛ لأن فيه حملاً للفظة على ظاهرها، فلا ضرورة تدعو إلى ادعاء القلب.

ولعل ما يعزز قول سيبويه أنّ في هذه المسألة مما ذهب إليه شيخه (أن هناك عدداً من التصريفيين قد أشاروا إلى أدلة القلب باختصار شديد، لم يذكروا ما عَدَّهُ الخليل بن أحمد قياساً. منهم: البطليوسي، وابن جنّي وابن عصفور... مثلاً[84].

ولكن هناك من العلماء من اختار مذهب الخليل بن أحمد؛ لأن مذهب سيبويه يلزمه توالي إعلالين على الكلمة وهما: قلب العين همزة، وقلب الهمزة (لام الكلمة) ياء.

وتوالي إعلالين في الكلمة من جهة واحدة لا يوجد في كلام العرب إلاّ نادراً وقيل إنَّ القلب أكثر في كلام العرب من هذا التوالي المشار إليه[85].

وهناك من يرى أنَّ مذهب الخليل بن أحمد أحسن إلا أن السماع يشهد

---

(83) الكتاب 3 ـ 467، 4 ـ 380، 4 ـ 374، والمنصف 2 ـ 53، والكتاب 4 ـ 476 ـ 477 وشرح شافية ابن الحاجب 1 ـ 25 ـ 26.

(84) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب 237، الخصائص 2 ـ 69، 82، والمجتمع في التصريف 2 ـ 615 ـ 618.

(85) السابق 2 ـ 510.

لسيبويه[86]، لأنّ العرب يقولون: شاكٌ، ولاثٌ بحذف العين من (شائكٍ ولائثٍ) ويجوز في لغة القالبين أن يكون (شاكٍ ولاثٍ) وأضرابهما من المقلوب. وأن يكون باقياً على الأصل، وهي مسألة لا تصح في لغة الحاذفين لأنه ليس من لغتهم القلب. . .[87].

5 ـ وجود منع التصريف من غير سبب يقتضيه

«تقديم اللام على الفاء»

إذا لم يعلل ذلك بوجود القلب المكاني، فكان منع الصرف دون مسوِّغ، فورود كلمة «أشياء» ممنوعة الصرف دليل على حدوث القلب فيها؛ لأن «أفعال» وردت مصروفة كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[88] على وزن «أفعال» فإنه في ظاهره جمع بهذا الوزن «أفعال» وهذه الصيغة لا تمنع من الصرف، فالهمزة فيه أصلية؛ لأن مفرده شيء، ولكن سيبويه أعدَّ اللفظ «أشياء» اسم جمع بوزن «فعلاء»، «شيئاء» فالكلمة مقلوبة، ولذلك كانت ممنوعة من الصرف ـ حسب هذا الوزن ـ بحيث كانت الهمزة الأولى لام الكلمة قدمت على الشين التي هي فاء الكلمة؛ كراهة اجتماع همزتين بينهما حاجز غير حصين لكثرة استعمالها، فصار وزنها بعد القلب «لفعاء» وهو مذهب سيبويه، وتبعه أبو عثمان المازني[89]. وكان أصل «أشياء»، «شيئاء» وكذلك «أشاوى» أصلها «أشايا». حيث جاءت هكذا؛ ليعلم أنها مقلوبة عن وجهها، كأنك جمعت عليها «إشاوة» وكان أصل «إشاوة»، «شيئاء»؛ ولكنهم قلبوا الهمزة قبل الشين، وأبدلوا مكان الياء الواو[90].

---

(86) الممتع في التصريف 2 ـ 510، وينظر كتاب سيبويه 3 ـ 466.

(87) الممتع في التصريف 2 ـ 511.

(88) سورة النجم، الآية: 23.

(89) المنصف لكتاب التصريف شرح ابن جنيّ 2 ـ 94 ط1/ عام 1954 مصر.

(90) الكتاب 4 ـ 380.

وهو مذهب سيبويه وشيخه الخليل بن أحمد[91].

ثم تقول: «أشياء عند الخليل وسيبويه، اسم جمع لا جمع كالقصباء، والغضباء، والطرفاء في القصبة، والغضا[92]، والطَّرفة وأصلها «شيئاء» قدمت اللام على الفاء كراهية اجتماع همزتين بينهما حاجز غير حصين ـ أي الألف[93].

ويبدو أنه في الأصل مذهب الخليل وسيبويه؛ لأنّ الحديث عن أشياء جاء في ثنايا كلام منسوب إليه» وكأن أصل إشاوة: شيئاء... وجميع هذا قول الخليل...»[94].

وجاء في «المصنف لكتاب التصريف: (فأمَّا قولهم في جمعها: «أشاوي» فقياسه «أشايا» لأن الياء ظاهرة في «أشياء» ولكن الياء قلبَت واواً، كما قالوا: «جبيت الخراج جباوة»، وكما قالوا: «رجاء بن حيوة» يريدون «حيَّة».

وحكى أبو زيد: «باد الشيء يبيد: بواداً «بالواو؛ وكأنهم إنّما فعلوا ذلك كراهية للياء بين الألفين في «أشايا» لو قالها لقرب الألف. من الياء؛ وليكون قلب الياء واواً هنا عوضاً للواو من كثرة دخول الياء عليها، وكأن من قال في: «مطيَّة وهديَّة: مطاوي، وهداوي» إلى هذا ذهب، على أنه ليس بعلة قاطعة، ولكنَّ فيه ضرباً من التعلل»[95]. وقال: وأخبرني أبو علي أن بعضهم ذهب إلى أن «أشاوي» ليس بجمع «أشياء» من لفظها، وأنه لفظ قول الشاعر:

يا حبَّذا حين تمسي الرِّيح باردة وادي أشَيٍّ وفتيان به هُضُم

فـ (أشاوى) على هذا «فَعَالى» بمنزلة «عذاري»؛ لأن الهمزة في «أشيّ»:

(91) شرح الشافية 1 ـ 29، المنصف 2 ـ 94، 95، 96.
(92) المنصف 2 ـ 69 ـ 98، شرح الشافية 1 ـ 28.
(93) شرح الشافية 1 ـ 29، المبدع في التصريف ص192 ـ 193.
(94) الكتاب 4 ـ 380، 381، 3 ـ 564، والمنصف 2 ـ 94، 95، 96. شرح الشافية 1 ـ 29، 30.
(95) المنصف 2 ـ 99، والمبدع في التصريف 192 ـ 193.

فاء، فينبغي أن تكون في «أشاوى» فاء كأنَّ واحدتها «إشاوة» وتكون «إشاوة» كإداوة، وتكون «أشاوى»: فعائل في الأصل كأداوي، ووزن «أشاوى» على قول الخليل: «لفاعي».

لأن الهمزة عنده لام مقدمة. فقلت لأبي عليّ ـ الحديث للمازني ـ فهلا كانت «أشياء» على هذا «فعْلاء». من غير لفظ «شيء» وتكون الهمزة فيها فاء دون أن تكون «لفعاء»؟ فقال: إنَّه إنما ذهب في «أشاوى» إلى أنها من غير لفظ «أشياء»؛ لأن في «أشياء» ياءً، وفي «أشاوى» واواً، فأما «أشياء» فلا إبدال فيها يُسَوَّغ أن يقال فيها: إنَّها من غير لفظ «شيء».

فأمَّا التقديم، فجائز كثير في كلام العرب[96].

أمَّا مذهب الكسائي في «أشياء» فقد جاء أنّ «أشياء» عنده جمع «شيء» بوزن «أفعال».

ومنعت من الصرف على التوهم، كونه من باب «حمراء» وهذا بعيد عند الرضيّ؛ لأن الحمل على التوهم ـ لا يُصار إليه ما وجد محمل صحيح ـ بعيد من الحكمة[97]. أمَّا الأخفش والفراء فقالا: أصله «أشيئاء» جمع شيء، وأصله شيِّءٌ نحو: بيّن وأبناء وهو ضعيف من ثلاثة أوجه[98]:

أحدهما: أن حذف الهمزة في «أشياء» إذن على غير قياس.

والثاني: أن شيئاً لو كان في الأصل شيِّئاً لكان الأصل أكثر استعمالاً من المخفف، قياساً على أخواته، فإن: بيِّناً وسيِّداً ومبيِّناً أكثر من بَيْن وسَيْد، ومَيْت، ولم يسمع «شيِّءٌ» فضلاً عن أن يكون أكثر استعمالاً من «شيء».

الثالث: أنّك تصغِّر «أشياء» على «أشَيَّاءَ».

---

(96) السابق 2 ـ 100، المبدع في التصريف ص194 ـ 195.

(97) شرح الشافية 1 ـ 30.

(98) السابق 1 ـ 30، والممتع في التصريف 2 ـ 515 ـ 618، والمبدع في التصريف ص194 ـ 195.

لو كان «أفْعِلاء» وهو جمع كثرة لوجب ردّه في التصغير إلى الواحد.

وجمعه على «أشياوات» مما يقوّي مذهب سيبويه؛ لأن فعلاء الإسمية تُجمع على «فعلاوات» مطرداً نحو: صحراء على صحراوات، وجمع الجمع بالألف والتاء كرجالات وبيوتات غير قياس.

ويضعّف قول الكسائي قولهم: أشايا، وأشاوى في جمع «أشياء» كصحارى في جمع صحراء، فإن أفعِلاء وأفعالاً لا يجتمعان على «فعالى» والأصل هو «الأشايا». وقلبت الياء في الأشايا واواً على غير قياس، كما قيل: جبيته جباية، وجباوة»[99].

وقال سيبويه: أشاوى جمع إشاوة في التقدير، فيكون إذن مثل: إداوة وأداوى كأنه بنى شيء: شِياءة، ثم قدمت اللام إلى موضع الفاء وأخّرت العين إلى موضع اللام فصار إشاية، ثم قلبت واواً على غير قياس كما في جباوة، ثم جمع على أشاوي كإداوة، وأداوي.

وأقرب طريق من هذا أن تقول: جمع أشياء على أشايا، ثم قلبت الياء واواً على غير قياس[100].

6 ـ قلة استعمال إحدى الكلمتين وكثرة استعمال الأخرى

وذلك إذا حدث القلب في الجمع مثل «آبار» جمع بئر، على وزن «أعفال» فهو مقلوب من «أبآر» بدليل مفرده (بئر) فالعين همزة؛ فدل ذلك على أنّ «أبآر» أصل و«آبار» مقلوب عنه، ومثله «آراء» وأصله» أرآء» بدليل مفرده (رأي). وقد عَدَّ النحويون ندرة الاستعمال وكثرته دليلاً على المقلوب والمقلوب منه، فكثير الاستعمال يُعَدُّ أصلاً، أمّا قليله فمقلوب[101].

(99) شرح الشافية 1/ 31، والممتع في التصريف 2/ 516.
(100) الكتاب 4 ـ 380، المنصف 2 ـ 94، وشرح الشافية 1 ـ 31، معاني القرآن للفرّاء 1 ـ 321.
(101) شرح الشافية 1 ـ 24، والمبدع في التصريف ص239، (هامش رقم 3).

جاء في الممتع في التصريف: أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل، والآخر مقلوباً منه، نحو: لعمْري، ورَعْملي، فإن لعمري أكثر استعمالاً، فلذلك ادَّعينا أنّه الأصل. وممّا عدّ أصلاً حملاً على ما مرَّ قولهم: «آرام في أرآم» لأن ومثله أكثر استعمالاً من مقلوبه، وذلك مثل: آبار، وآرام، جمع رئم وآراء، وآناء، وآثار. كلها على وزن «أعفال» فقد عُدّت من باب القلب[102].

آبار جمع بئر، وآرام: جمع رئم وهو «الظبي» وآراء جمع رأي، وآناء جمع نُؤيْ، وآثار جمع ثأر[103].

وهو في الأصل: أبآر، وأرآم، أرآء، أنآء، أثآر... وزنها: أفعال. فمثلاً «آراء»، «أآراء» جمع رأي.

فالراء فاء الكلمة، والهمزة الوسطى «أرأأء» الممدودة عين الكلمة، والياء لام الكلمة، فجاء القلب المكاني أي حدث بين الراء والهمزة المتوسطة، بأن حلّت كل منهما محل الأخرى، فصارت (أآراء) على وزن «أعفال»، «آراء» ثم توالت همزتان، وسكنت الثانية (أآراء) كما كانت في السابق، فقلبت هذه من جنس حركة الأولى. أي قلبت ألفاً، فصارت «آراء» ثم قلبت الياء همزة لتطرفها بعد ألف زائدة، فصارت «آراء» على وزن «أعفال»[104].

والذي يمكن الخلوص إليه: هو أن ظاهرة القلب المكاني من الظواهر اللغوية، والتغييرات التي يجب مراعاتها في الميزان الصرفي. ويكثر القلب المكاني عادة في الأفعال المعتلة، والمهموزة، ويقل في غيرهما مثل: (امضحلَّ) و(اكرهفَّ) مقلوبين من اضمحلّ واكفهر. بدليل: الاضمحلال

(102) الممتع لابن عصفور ص617 ـ 1970.
(103) ينظر: تاج العروس، ولسان العرب.
(104) ينظر كتاب تيسير الإعلال والإبدال ص37.

والاكفهرار. حيث لم يسمع للمقلوب مصدر، وأكثر ما تكون صوره بتقديم الحرف الأخير على ما قبله[105].

وعند علماء النحو أن القلب لا يمكن عدُّة قياسياً، وأن الألفاظ التي تُعدُّ مقلوبة هي ظاهرة من ظواهر توسيع وسائل اللغة العربية وذلك شائع في الفصيح، ولحن العامة، ونطق كثير من الأطفال، لتعثر ألسنتهم في النطق ببعض الألفاظ، وحمل بعض العلماء على هذه الظاهرة بعض القراءات من أصحاب مظان إعراب القرآن وتفسيره، وذلك من قراءات سبعية، حيث تحتمل القلب وقراءات سبعية فيها خلاف بين النحويين، وقراءات شاذة محمولة على القلب المكاني.

وجاء في القلب المكاني في الجملة في القرآن الكريم: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[106].

هو خلق العجل من الإنسان، من المجوّزين لذلك التقدير: أبو عمرو بن العلاء، أحد القرّاء السبعة، وغيره[107].

وفي الحديث الشريف، هناك ألفاظ تعزز شيوع هذه الظاهرة اللغوية من ذلك لفظة «الطبيخ». فجاءد في الحديث: «كان النّبيُّ ﷺ يأكل الطبيخ بالرُّطب...».

فكأنّه مشتق من الطبخ، والبطخ من معنى آخر، وذلك أنّه يقال لمكانه الذي يزرع فيه «المبطخة» وجمعها «مباطخ»[108].

ومن الكلمات التي يحصل فيها التقديم والتأخير: رعيون، بدل: عريون، ولا سيما في القطر السوري.

---

(105) الوافي الحديث في فن التصريف 39.

(106) سورة الأنبياء، الآية: 37.

(107) البحر المحيط 6 ـ 312، معاني القرآن للفراء 2 ـ 65، مغني اللبيب ص911/ دارالفكر 1972 ظاهرة القلب المكاني 173، 4، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص202 ـ 203 بيروت.

(108) مجلة كلية اللغة العربية ص291 ـ 292/ الرياض.

ومعلقة، بدل ملعقة، وأنارب بدل أرانب، واشلع الضوء بدل: اشعل. وغيرها[109].

وقد توسّع علماء الكوفة في مدلول ظاهرة القلب فأطلقوها على كل كلمتين اتحد معناهما، واختلف ترتيب حروفها. ولو وجد أصل مستقل يرجع إليه كل منهما، مثل ما مرَّ في «جذب، وجبذ» فكل منهما فعل، وله مصدره، تقول: جذب، يجذب، جذباً، وجبذ، يجبذ، جبذاً.

فمع وجود المصدر لكل منهما قالوا:

إنّ بينهما قلباً مكانياً. أمّا البصريون فلا يقولون بذلك، وإنّما يجعلون كل فعل له مصدره المستقل أصلاً بنفسه، وإن اتفق مع غيره في المعنى.

فكلّ من «جذب وجبذ» عندهم أصل، وليس مقلوباً عن الآخر.

وإلى رأي البصريين هذا أميل، وأطمئنُّ، ومذهبهم جدير بالاطمئنان، والتأييد للصواب.

جاء في «مدرسة الكوفة النحوية» د/ مهدي المخزومي. «تتألف الكلمات عند الخليل ـ رأس المدرستين ـ بضم هذه الأصوات الساكنة إلى بعض، وهي ـ ساكنة ـ خِلواً من الدلالة على معنى من المعاني، بل لا يُستطاع النطق بها، حتى يتوصَّل إلى ذلك بحروف اللين، أو بالحركات التي هي أبعاض حروف اللين، ولا أعلم للكوفيين رأياً يخالف رأي الخليل»[110].

* * *

(109) التطور اللغوي، مظاهره وعلله، وقوانينه، ص 59/ 60، ظاهرة القلب المكاني في العربية ص77.

(110) ينظر ص183/ ط2، 1958 ـ مصر.

المصادر والمراجع

- **أبينة المصادر في الشعر الجاهلي** ـ وسيمة عبد المحسن/ الكويت 1984 .
- **أبينة المصادر في كتاب سيبويه** ـ خديجة الحديثي/ مكتبة النهضة 1984 .
- **أساس البلاغة للزمخشري** ـ دار صادر للطباعة والنشر/ بيروت 1965 .
- **الاقتضاب في شرح أدب الكاتب** ـ ابن قتيبة/ مؤسسة الرسالة/ بيروت .
- **الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري** ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الجيل 1982 .
- **البحر المحيط لأبي حيان**/ مكتبة مطابع النصر الحديثة/ الرياض .
- **تاج العروس للزبيدي**/ الكويت .
- **التطبيق الصرفي** ـ عبده الراجحي/ دار النهضة العربية للنشر/ بيروت .
- **التطور اللغوي، مظاهره، وعلله، قوانينه** ـ رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي/ القاهرة .
- **التطور النحوي للغة العربية** ـ برجستراسر، مكتبة الخانجي/ القاهرة .
- **تهذيب اللغة للأزهري** ـ دار القومية العربية للطباعة/ مصر .
- **تيسير الإعلال والإبدال** ـ عبد المنعم إبراهيم/ القاهرة 1969 .
- **جمهرة اللغة لابن دريد** ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف/ حيدر أباد الركن 1344 .
- **الخصائص لابن جنّي** ـ دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت .
- **دراسات في فقه اللغة** ـ صبحي الصالح/ دمشق .
- **ديوان ذي الرّمة** ـ دار المعارف بمصر .
- **شرح شافية ابن الخاجب** ـ دار الكتب العلمية/ بيروت 1982 .
- **شرح كتاب سيبويه** ـ للسيرافي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ 1990 .

- **شرح المفصل لابن يعيش**/ بيروت.
- **المزهر في علوم اللغة** ـ للسيوطي/ دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة.
- **الصاحبي لابن فارس**/ القاهرة.
- **ظاهرة القلب المكاني في العربية** ـ عبد الفتاح الحموز/ جامعة مؤتة.
- **ظاهرة القلب المكاني في العربية** ـ محمد بدوي المختون/ مجلة كلية اللغة العربية، العدد الحادي عشر/ الرياض.
- **علم البيان** عبد العزيز عتيق/ دار النهضة العربية ـ بيروت 1985.
- **فن التصريف** ـ محمد الكتاني/ دار الثقافة ط2 ـ 1973.
- **في علم الصرف** ـ أمين السيد ط 3/ دار المعارفة بمصر 1985.
- **القاموس المحيط** ـ للفيروز أبادي/ دار إحياء التراث/ بيروت.
- **كتاب أصول اللغة** ـ مجمع اللغة العربية/ القاهرة 1969.
- **كتاب السبعة في القراءات** ـ لابن مجاهد/ دار المعارف بمصر.
- **كتاب سيبويه** ـ مكتبة الخانجي/ القاهرة.
- **كتاب اللغات في القرآن الكريم** ـ لابن عباس/ دار الكتاب الجديد/ بيروت.
- **لسان العرب** ـ لابن منظور/ بيروت.
- **المبدع في التصريف** ـ لأبي حيان الأندلسي/ دار العروبة 1982.
- **مجلة مجمع اللغة العربية** ـ الجزء الحادي والثلاثون/ 1972.
- **مدرسة الكوفة النحوية** ـ مهدي المخزومي/ مصر 1958.
- **معاني القرآن للفرّاء** ـ عالم الكتب/ بيروت.
- **معاني القرآن الكريم، تفسير لغوي** تأليف د/ إبراهيم رفيدة وآخرون، مطبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 1986.

- **مغني اللبيب** ـ لابن هشام/ دار الفكر: 1972.
- **الممتع في التصريف** ـ لابن عصفور.
- **المنجد في اللغة والأعلام** ـ دار الشروق 1960.
- **المنصف لابن جنّي**/ دار إحياء التراث القديم ـ مصر.
- **النحو العربي في الدرس الحديث** ـ عبده الراجحي/ دار النهضة العربية ـ بيروت.
- **النكت في تفسير كتاب سيبويه** ـ أعلم الشمنتري/ الكويت 1971.
- **الواضح في علم الصرف** ـ محمد خير الحلواني/ دار المأمون للتراث ـ دمشق/ ط4 ـ 84.
- **الوافي الحديث في فن الصرف**/ محمد محمود هلال.